

مجاز القرآن

(93) تعود تلك الخصائص ظاهرة لغوية معينة يؤكد لها أسلوب القرآن المرة بعد الأخرى ، وتمثلها في كتاب الله تعالى عند الآية ، هذه الخصائص تتجسد بأبرز مظاهرها الفنية في إسناد الحدث الى غير فاعله ، وتحاشي ذكر المسبب في إيجاده ، وكان القرآن في هذا وذاك يريد التوجه الجدي الحثيث منصبا الى الحدث ذاته ، والتفكير منحصر في أبعاده دون النظر في الفاعل والمبدع له ، أنى كانت نوعيته وكيفيته ، وهذا ما حذب على تصويره القرآن في مظهرين عظيمين حينما يتحدث عن يوم القيامة مثلا . المظهر الأدل في مجاله ، الحقيقي وتعبيره الاستعمالي الأصل : 1 - يتحدث النص القرآني عن أحداث الساعة ، والتزلزل الكوني في العالم عندها ، والتغيير المفاجيء لمعالم الدنيا البصرية والحسية ، فتجيء صفة الأحداث في إسنادها مبنية للمجهول في عشرات الآيات بل مئاتها من القرآن ، ولنقف عند سورة التكوين : (إذا الشمسُ كوَّرتُ * وإذا الذُّجُومُ انكدرتُ * وإذا الجبال سيَّرتُ * وإذا العشار عطَّلتُ * وإذا الوحوش حشرت * وإذا البحار سجَّرت * وإذا الذُّفُوسُ زوَّجت * وإذا الموءودة سئلت * بأيِّ ذنب قتلت * وإذا الصُّحفُ نشرت * وإذا السَّماءُ كشتت * وإذا الجحيم سعَّرت * وإذا الجذَّةُ أزلفت * علمت نفس مِّا أحضرت *) (1) . وباستقراء هذه الآيات الأربع عشرة ، نجد منها اثنتي عشرة أية قد بنيت أفعالها للمجهول ، وطوي ذكر الفاعل فيها وهي : كورت ، سيرت ، عطلت ، حشرت ، سجرت ، زوجت ، سئلت ، قتلت ، نشرت ، كشتت ، سعرت ، أزلفت . والقارئ للقرآن يدرك بالفطرة المودعة لديه ، أن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى بقدرته ، أو بأمره ، أو بإرادته ، أو بتوجيهه لملائكته في تنفيذ ذلك ، فصدوره عنه لا شك في ذلك لأنه الجامع بين هذه الأشتات ، والمنظم لهذه المتفرقات ، أوجدها وسخرها وأنطقها ورتبها ، ولكن _____ التكوين : 1 - 14 .